المحور الثاني : المأسسة الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية في علم الاجتماع

أولا: مقاربة علم الاجتماع العام

المحاضرة الثالثة: أبرز ملامح المأسَسَة والمؤسسة الاجتماعية لدى كل من بودون وتوران ودوجلاس

❁ ريمون بودون (1934م– 2013م)، عالم اجتماع فرنسي، يُعرف بأنه مُنَظّر الفردانية المنهجية، التي تهتم بدراسة أفعال الافراد ليس باعتبارها سلسلة من التصرفات التي تخضع للحتمية السببية، بل باعتبارها تقوم على العقلانية التي تجعلها تنحو نحو طرق تصرف معينة يعيها الفرد القائم بالفعل، ويمكن للباحث الذي يهتم بمعرفة ذلك أن يفهمها، وقد اهتم بودون بدراسة علماء الاجتماع الكلاسيكيين، كي يبرهن على ان أعمالهم تندرج أيضا ضمن الفردانية المنهجية[1].

❁آلان توران (1925– 2023م) عالم اجتماع فرنسي، يعرف عنه أنه كان مهتما بدراسة الحركات الاجتماعية، والمجتمع ما بعد الصناعي، ويعتبر من مؤسسي علم اجتماع العمل في فرنسا[2].

❁ ماري دوجلاس (1921م–2007م)، من أعلام الانثروبولوجيا البريطانية الوظيفية الحديثة، عرفت بنظريتها عن الأنظمة الرمزية، وأنماط التفكير والاستهلاك، التي استمدتها من دراساتها الاثنوغرافية المقارنة في مجتمعات افريقية خلال بدايات مسارها العلمي، ثم من دراسة المجتمعات الحديثة فيما بعد[3].

01* موقع المؤسسة الاجتماعية في علم الاجتماع لدى كل من بودون وتورات ودوجلاس: ركز **بودون على تحليل سلوك الفرد الذي له مبرر يعيه صاحب السلوك، وليس المؤسسات الاجتماعية.** بينما نظر إلى المؤسسة الاجتماعية باعتبارها: **تجميع لسلوكات الأفراد ومقاصدهم التي تبرر اختيارهم لتصرف دون آخر**[4]، وليس باعتبارها تأسيس يسبق وجود الفرد ويوجه سلوكه. والفرد المقصود عند بودون ليس بالضرورة الشخص الطبيعي، بل قد يكون في بعض الأحيان مجموعة تمتلك آليات القرار الجماعي مثل الحكومة التي تصدر قراراتها باعتبارها تعبير عن مجموعة وليس تعبير عن رأي وزير[5]. أما **لدى توران** فإن علم اجتماع يبنى على رؤية طبقية للمجتمع، والتنازع الطبقي في المجتمع يستند إلى وعي فاعلين **جماعيين بهوية** مشتركة، تدفعهم إلى **النضال من أجل السيطرة على الكينونة التاريخية** (الهوية) المستلبة منهم في ظل

1 – أنظر: دورتيه، 2011، مرجع سابق، بودون، ريمون.

2 – حول توران يمكن الرجوع إلى: دورتيه، مرجع سابق

3 – أنظر: دورتيه، مرجع سابق، دوغلاس، ماري.

4 – أنظر: Marie-Carmen Garcia، مرجع سابق.

5 – كابان ودورتيه، مرجع سابق، ص.202.

وضع مؤسسي يعكس هوية الطرف الذي يناضلون ضده (الذي يملك المؤسسات ويملك الغلبة الاجتماعية)، ركز على دراسة أشكال **ذلك النضال الجماعي المنظم والمؤسس** في شكل حركات اجتماعية، ثم تحول **اهتمامه فيما بعد إلى النضال الذي يخوضه الفاعلون** بصفة فردية **ضد الأوضاع والبنيات المؤسسية ومظاهرها**. وانسجاما مع تلك الرؤية الطبقية، والنضالية في المجتمع **وضع توران منهج التدخل السوسيولوجي** الذي يؤسس لعلم اجتماع **له دور ايجابي في التدخل لصالح الفاعلين** الذين يدرسهم، فيحاول أن يكون مساعدا لهم على وعي أوضاعهم ومشاكلهم للوصول إلى حل لها.

في حين **اهتمت ماري دوجلاس بالتحليل الثقافي للمجتمع؛ والمؤسسات الاجتماعية باعتبارها مصدر مشروعية أُطر الفكر المشترك في مختلف المجتمعات**، وكيف يتم استخدام تلك الأطر من **طرف الأفراد بشكل عقلاني**. حيث أن جميع الفاعلين الاجتماعيين لديهم عقلانية مُتَمَأْسسة لحياتهم في ظل فكرة الخير العام(المصلحة العامة) وفكرة التمييز بين الصحيح (والخاطئ)[1]، **والمؤسسات الاجتماعية باعتبارها تجمعات بشرية شرعية، هي موضوع علم الاجتماع.**

02* النظم والمؤسسات الاجتماعية كأثر لتجميع السلوكات والمقاصد الفردية وفق رؤية ريمون بودون: لفهم السلوك الفردي –حسب بودون– يجب البحث **في الأسباب المنطقية التي يتصرف على أساسها الفاعلون الأفراد**، وفي مختلف عوامل السياق التي يتم فيها السلوك، ولكي **يفهم ذلك السلوك في سياقه يتم النظر أيضا إلى الحصيلة**، أي محصلة مجموعة من سلوكات الفاعلين الأفراد المستقلين **وآثارها على المستوى الجمعي**، حيث أن ما يسميه بودون (تراكم السلوكات الفردية) هي التي **تجعل من فكرة "الاجتماعي"** فكرة **مقبولة ومفهومة**، دون **حاجة لافتراض أن هناك وجودا (مُؤَسَّسًا) لهذا "الاجتماعي" يسبق وجود الأفراد**؛ ويتحكم في سلوكهم وتفكيرهم، فالعكس هو الصحيح هنا (التأسيس للاجتماعي هو نتيجة لسلوك الافراد). ثم ينظر بودون أيضا لهذا التجميع باعتباره يعطي في الواقع **آثارا غير مقصودة** (في البداية من طرف الفاعلين الأفراد) تساهم في تحديد **الحصيلة النهائية للسلوكات الفردية** التي كانت منطلقاتها ومبرراتها معقولة؛ ومفهومة لدى الافراد، إنها " تنجم عن تجمع سلوكيات الأفراد دون أن **تكون مُتَضَمَّنَة في الأهداف التي يسعى إليها هؤلاء الأفراد**". **آثار التجميع هذه** هي التي تصبح **نظما ومؤسسات اجتماعية**، تعمل **كمنظومات فعل جماعي**[2]. باعتبارها مبدئيا هي التي تؤسس للمشترك الذي يعيش في ظله الجميع.

03* البنية الاجتماعية طبقية والنسق المؤسساتي ذا بعد تاريخي وفق رؤية توران: رؤية توران الطبقية للمجتمع ترتبط بمجال يفسر وجود المجتمع في إطار نشاطه وامتداده التاريخي الذي يشير إلى " البعد التاريخي الذي يتخذه المجتمع تجاه نشاطه والفعل الذي يحدد من خلاله **مقومات** ممارساته؛ **فليس المجتمع ما هو كائن ولكن ما يفعله لكي يكون عن طريق المعرفة** التي تخلق وضعا **للعلاقات بين المجتمع ومحيطه** عن طريق **التراكم الذي يقتطع جزء من** الناتج المتوفر من الدائرة المؤدية الى **الاستهلاك**، من خلال النموذج الثقافي الذي يتحكم في الإبداعية بأشكال تخضع لنفوذ المجتمع عمليا على سيره الذاتي؛ فهو الذي يخلق توجهاته الاجتماعية والثقافية بفعل تاريخي يكون فعلا ومعنى"[3]، حيث أن المجتمع يتأسس على النشاط والعمل

[1] – انظر : كابان ودورتيه، مرجع سابق، ص. 176

[2] – المرجع نفسه، ص–ص. 204–205.

3 – دوران وفايل. سابق، 345

الدائم الذي يحمل معنى يعطيه له **لأجل ذاته** (أهدافه ومقاصده)، إن المجتمع يعمل على استثمار معطيات محيطه الذي يعمل على معرفته وتغييره، في **بناء نموذجه الثقافي**(المعنى المعطى للممارسات والتصورات الإبداعية وعلاقات نشاطاته وقدرته على الاشتغال عليها واستثمارها) **وتنمية ذاته**؛ وخياراته **لأجل تجاوز ذاته** (تنميتها وتطويرها). كل ذلك يتم في إطار نسق مؤسساتي **يشمل مجموع آليات تحويل البعد التاريخي** إلى مجموعة **من قواعد الحياة الاجتماعية**(السلوكية والفكرية)، في ظل الترابط بين المجال السياسي والفاعلين الاجتماعيين، وحقول النشاط والوحدة والتعقيد والمشاكل والقوى ... والهيمنة الطبقية التي تتدخل سياسيا باعتبارها **مجموعة مصالح من جهة**، وباعتبارها من **العوامل التي تحدد القرارات التي يتم اتخاذها على مستوى الممارسة**(الواقع الحياتي)؛ حيث تنشط التنظيمات الاجتماعية التي هي " وحدات متميزة تُشَكَّل لأهداف خاصة؛ تُوَجِّهُهَا سلطة تؤسس أشكال النفوذ، وتحدد مكانات وادوار أعضاء التنظيم"[1] وهي تعمل في مجال تطبيق التوجيهات ذات البعد التاريخي ضمن إطار العلاقات الطبقية ووكلائها الممثلين في الفاعلين الاجتماعيين المهنيين والثقافيين .

04* المؤسسات الاجتماعية كأُطُر للفكر المشترك الشرعي حسب رؤية ماري دوجلاس: التركيز على أطر الفكر جعل دوجلاس تهتم بالمعارف، باعتبار أنها **توجد وتتمأسس على المستوى الاجتماعي**، وبالتالي فهي **ليست ذات بناء واختيار** فردي، كما أن **المؤسسات الاجتماعية والأفكار** لا تستمد **معناها واعتبارها** الاجتماعي من **الوجود القانوني** لها في المجتمع (باعتبارها هياكل معترف بها قانونا، أو لها مكانة وشخصية قانونية)، بل **أن المؤسسات هي من تمنح الهوية (حتى للقانون ذاته) وتتحكم في فكر المجتمع من خلال مختلف أشكال التصنيف** المحددة للقواعد الاجتماعية؛ كما أنها تحدد فئات الأفكار والرؤى لدى الأفراد؛ بما يمنحهم القدرة على معرفة مجتمعهم وعالمهم المحيط بهم[2]. ان **أنماط التصنيف** تدخل في **تركيب كل مؤسسة** اجتماعية بالمعنى الواسع ل"التجمع الاجتماعي المُشَرّع" وتساهم في تطبيعها[3](فكرة الشرعية والقَبول الواسع في المجتمع، وفكرة انها الواقع الذي ينسجم مع طبيعة الحياة التي تناسب المجتمع "ضد طبائع حياة أخرى تصنف بأنها غير طبيعية وغير مقبولة")

وقد بينت دوجلاس من خلال دراساتها الانثروبولوجية أن **التصنيف والذاكرة الاجتماعية والنسيان** من أعمال المؤسسات، وليست متعلقة بالنفسية الفردية — كما أكدت أن مختلف أنواع التنظيم الاجتماعي في كل المجتمعات تتضمن أساليب **تفكير وخوف اجتماعي متشابهة**، فما **تحتويه الأديان القديمة والأفكار البيئية الحديثة** عن التلوث يبين أن فيها الكثير من أوجه الشبه. " ان التصنيفات التي تسمح لنا بالتفكير تصلنا دائما مُنجزة تماما مع حياتنا الاجتماعية، سواء تعلق الأمر بال **صغير** والـ **كبير**، بال **ثمين** والـ **رخيص**، بال **مثير للاهتمام** وبـ **غير المثير للاهتمام**، بال **جميل** وبال **قبيح**، بال **صحيح** والـ **خاطئ**، أو بال **حق** والـ **باطل** " [4]

---

[1] - دوران وفايل. ص. 356

[2] – أنظر:

Wikilivres: on URL
https://fr.wikibooks.org/windex?title=sociologie_des_ institutions/introduction&oldid=592321

3 – كوركوف، فيليب. علوم الاجتماع الجديدة بين الجماعي والفردي، ترجمة: أحمد حاجي صفر، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، 2013، ص. 82

4 – كوركوف، المرجع نفسه، ص. 82

ففي أي مجتمع **يفكر الناس بطريقة مؤسساتية**، حيث **تمنحهم المؤسسات والتصنيفات المرتبطة بها مبادئ مطابقة تسمح لهم بالتفكر في أنفسهم وفي العالم**[1]. **واختلاف أساليب التفكير** بين المجتمعات يعود إلى اختلافات أشكال المؤسسات، **ومختلف التصنيفات التي يصنف الناس وفقها الأشياء والأفكار والناس هي نتاج المؤسسات**، ومن جانب آخر **تتطور الأفكار لتصبح بمثابة أدوات يسيطر من خلالها الناس على الآخرين من أجل الخضوع للمؤسسات الاجتماعية**[2]. حيث يتم استخدام تلك الأفكار بطريقة عقلانية (باعتبارها طريق مشروع اجتماعيا) لدعم وعقلنة مختلف **الخيارات والتوجهات التي يختارها الأفراد** بحيث **يجعلون سلوكاتهم وأفكارهم تبدوا وكأنها لا تخرج عن منطق ينسجم مع مبدأ الخير العام ومنطق الصواب**، لأجل الحصول على القَبُول الاجتماعي. وبتلك الطريقة تعتبر(المعارف الاجتماعية) **حجج لتبرير الاستراتيجيات الفردية في التعبير عن المصلحة الجماعية المشتركة**[3]، ولضمان **بقاء خيارات واستراتيجيات الافراد وافكارهم وسلوكاتهم منظورا إليها باعتبار أنها لا تنتهك مبدأ الصالح العام** ومنطق التصنيف الاجتماعي عموما.

والطقوس الاجتماعية هي **جزء من طريقة تفسير المؤسسات للتصنيف** (صحيح وخاطئ، سوي –غير سوي، مرفوض –مقبول، مقدس –مدنس، طاهر– نجس، جميل–قبيح ...) حيث يتم من **خلال الطقوس الاجتماعية** (ليست الطقوس هنا بالمعنى الديني فقط بل بمعنى أوسع يرتبط بعادات تتكرر بمظاهر يتم الحرص عليها مثل عادات الاستهلاك للسلع المختلفة) تعليم وشَرْعَنَة أفكار أُطر التصنيف ونشرها[4]. من خلال ربطها بمجالات حياتية معينة؛ ونشر ممارسة تلك الطقوس على مساحة أوسع على المستوى الاجتماعي، وجعلها وسيلة اجتماعية للتعلم، وأداة للاندماج في الحياة الاجتماعية.

05* الحركات الاجتماعية والفعل الجماعي ضد السيطرة المؤسسية حسب تصور توران: اهتم توران في البداية بالتنظير لمجتمع يقوم فيه الفاعلون الذين لديهم شعور ووعي بهوية جماعية مشتركة، بالنضال **ضد خصم يعرفون أنه يحمل مشروعا وهوية** تتعارض مع مشروعهم ويمتلك **نسقا مؤسساتيا يجسد ويدعم وجوده ويمنح المشروعية لهويته**، حيث **تعتبر المؤسسات في ظل ذلك الوضع أدوات إكراه وإضفاء الشرعية**[5] وتشمل السيطرة على الكينونة التاريخية السيطرة على التوجهات الثقافية العظمى التي بواسطتها يتم تنظيم العلاقات الاجتماعية **تنظيما معياريا**[6]، ولذلك أيضا يعرف أولئك الفاعلون أن استعادة كينونتهم(وجودهم وهويتهم) التي استلبها الخصم **منهم بالشرعية المؤسسية** تتطلب منهم النضال جماعيا وليس فرديا، أي أن يتحركوا في شكل **منتظم فيَنْظَمُّون إلى الحركة الاجتماعية** التي تتأسس لأجل ذلك.

ومن خلال دراساته **لتطور العمل في مصانع رونو الفرنسية وجد توران أن الوعي العمالي** للعمال لا يتبلور باعتبارهم **مجموعه مهنية** بل باعتبارهم **طبقة اجتماعية لها هويتها القوية**، وهي **تصارع ضد النظام القائم** (الذي لا تجسده فقط نظم

1 – كوركوف. المرجع نفسه، ص. 82

2 – سكوت، مرجع سابق، ص– ص. 170–172

3 – كابان ودورتيه، مرجع سابق، ص. 178

4 – سكوت، مرجع سابق، ص– ص.169–170

5 – جان بيار دوران وروبير فايل. علم الاجتماع المعاصر، ترجمة ميلود طواهري، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، وهران– الجزائر ودار الروافد الثقافية – ناشرون، بيروت– لبنان، ط01 ، 2012، ص. 354

6 – أنظر: ناش، كيت. السوسيولوجيا السياسية المعاصرة، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت– لبنان، ط 01، 2013 .ص. 253.

العمل الاجتماعية والإدارية والتقنية داخل المؤسسة "رونو"، بل يمتد إلى **نسق مؤسسي اجتماعي** أشمل هو **نسق المجتمع الصناعي** الذي يجسد مصالح الهوية المناقضة التي تفرض مصالح هويتها)، وتناضل (الطبقة العمالية) **لأجل فرض مشروعها الجماعي** الذي يتعلق بهوية عمالية لها **امتداد تاريخي واجتماعي**. وفي **السبعينات تطور اهتمامه إلى دراسة ما سماه الحركات الاجتماعية الجديدة** (المرأة، الحركة المناهضة للتسلح النووي، حركات الشبيبة..) التي جاءت في ظل سياق اجتماعي وتاريخي مختلف عن الحركات العمالية، حيث أنها **حركات تناسب مجتمع يسميه توران ما بعد الصناعي**، وتناضل الحركات الاجتماعية الجديدة **ضد السيطرة المؤسسية التي تجسدها مؤسسات هذا المجتمع**، ولأجل القدرة على توجيهه نحو مشروع جماعي جديد يقوم على **ضرورة التحرر والديموقراطية، وضد دور الدولة بمؤسساتها الادارية البيروقراطية** التي يتزايد تدخلها في الحياة الاجتماعية، مثل ما تقوم به الحكومات من إدارة سياسية للأسرة من خلال الخدمة الاجتماعية، والسياسة الاجتماعية التي تؤدي إلى الاستياء من تدخل الدولة في الحياة الخاصة للمواطنين، كما أنها تضع الأسرة في الاتجاه الذي يجعلها مادة للتداول في القنوات غير البرلمانية مثل مجموعة الأفراد والمجموعات والحركات الراديكالية، مثل الحركات النسوية[1].

لكن توران توصل في النهاية **إلى أن أيًّا من هذه الحركات لم تكن** لها تلك القدرة، بل أنها لم تستطع أن **تلعب الدور الذي لعبته الحركة العمالية**.

06* الفكر المؤسسي وفق رؤية دوجلاس يتغير عندما يعجز عن فهم التعقيد في التغيرات الحاصلة: الأفكار تتغير حين **يصبح الفكر الذي تمت مأسسته** في ظل ظروف معينة **عاجزا عن فهم ما ينشأ من تعقيدات جديدة نتيجة لتنوع**، وتَنَافُس التجمعات والمؤسسات في مجتمع من المجتمعات، وبذلك **تتغير المؤسسات ويتحطم الفكر المشترك** الذي كانت تؤطره ليتكون فكر جديد **في ظل مؤسسات جديدة**[2].

07* الذات ضد السيطرة المؤسسية لصالح التفرد والاستقلال لدى توران: منذ **الثمانينات من القرن العشرين** تحول توران من الاهتمام بالفعل الذي يناضل **ضمن التنظيم الحركي وضمن الشعور بالهوية** الجماعية المشتركة، إلى التركيز على الفعل الذاتي الذي تدفعه الرغبة **في التَفَرُّدْ الإصلاحي** الذي يسعى إلى التحرر من كل سلطة مؤسسية تحد من حرية تحقيقه لرؤيته الشخصية، **في الدفاع عن قيم ثقافية تتعلق بالحق في الاختلاف والحرية والاستقلال بالحياة الخاصة**. والذات الفاعلة في ظل هذا التصور الجديد بتعبير توران: **هي كونية ومحلية**[3]. تؤسس لآرائها ونضالها من وعي خاص بوجودها في ظل وضع اجتماعي معين له بعد تاريخي، لكنها **تعي أيضا** أن ذلك الوضع الاجتماعي لا يفصلها **عن الوضع الاجتماعي** العالمي الذي هي جزء منه، وهو جزء **من هويتها**؛ باعتباره أيضا **يساهم في التأسيس** لهويتها، والعمل الذي تقوم به يكون لصالح ذلك، أي يهدف **إلى تحقيق نوع من التناغم والانسجام بين الواقع الحياتي المحلي والعالمي**، ومحاولة جعل ذلك التناغم يحقق اثرا اجتماعيا وفق رؤية فردية فاعلة، ومنسجمة مع الهوية (المحلية والعالمية) التي يشعر الفرد بأنها تناسب وضعه وتستجيب لتطلعاته.

---

[1] – أنظر: سكوت، مرجع سابق، ص-ص.139-140.

[2] – كابان ودورتيه، مرجع سابق، ص.178.

[3] – أنظر: كابان ودورتيه، مرجع سايق، ص. 226